طير الحنين اذكريانك صادح ... كالفجر نشوان الرؤى يترنم !
تتراقص النسمات حولك حفلا ... والطير زهراً في حماك تحوم
وترى الربى سكرى رضابك إنه ... جريالهـــا وهو الحبيب المغرم
خضراء ناضرة تروق بمنظر ... شبه السماء تشع فيـه الأنجم
وإذا استحث لك الربيع ركابه ... خلت الأواذى الصقيلة تحلم
فيك الحياة تدب ملء إهابها ... حب يضوع وفرحة وتنعم
يا فتوة الأجيال من عهد الألى ... ركزوا دعامات البلاد وعلموا !
أرسوا على متن الزمان حضارة ... هي مشرق للكون بل هي مبسم
«أهرامهم» شتى العجائب ماترى ... فيها سوى الإبداع ، نعم اللهم
سل « كليوباترا » هل تألق مجدها ... بسواك تحبوه الضياء وتعصم ؟
وسل « الفراعنة » العتاة ألم يروا ... سحر الجلال يرف منك عليهم ؟
ما كان «فيضاً» مافمرت به القرى ... بالأمس بل هي غضبة تتحدم
هي وثبة الضرغام ديس عرينه ... وفراهة الجرد استشاط به الدم
يا « مصر » يا أم المكارم والعلا ... لك في النفوس مودة لاتهرم
روحية الإسلام أنت رجاؤها ... ومناط آمال تجيش وتعظم
لك بين أسفار الجهاد صحائف ... ريم الجبان لها وهش الضيغم !
أنشودة كم نغمتها عصبة ... تطأ الصعاب بعزمة لا تهزم
أمل العروبة أنت كم قلدتها ... عقداً بحبات القلوب ينظم !
أرخصت في إقدامك الثمن الذي ... هو للمعالي مهرها المتوسم
فترقبي الصبح الجميل فإنه ... في موكب البشرى إليك سيقدم !

* * *

أشياب «وادي النيل» هذا يومكم ... يوم يفر له الجبان ويحجم
رنت الشعوب له وصفقت الدنى ... فاستدبروا الأحقاد فيه وأقدموا
«الشرق» يهفو نحوكم مستبشراً ... و«الغرب» في حنق يثور ويكظم
فثبوا على متن العزائم وابتدوا ... صرح اتحاد شامخ لايهدم
وتناهزوا فرص الحياة فإنها ... كالبرق لا يأتي ولا يتلوم
ما « مصر والسودان » إلا دوحة ... روى ثراها نيلها المتحكم
جمعت أواصرها العتيدة وحدة ... بيد الإله وثاقها مستعصم
هيهات تجتث الغصون حماقة ... من غاصب مستعبد بتهجم

* * *

حييت يانهر الخلود فقد زها ... فوق السماك فخارك المتسلهم
لا زلت هدار العباب مصارعاً ... للخطب ، مرهوباً ، تعز وتكرم

حسن عبد الله القرشي

* من ديوان « مواكب الذكريات » الذي يصدر قريباً

تعقيبات

للاستاذ أنور المعداوي

برنارد شو ورسالة المال :

قلنا ونحن نتحدث عن ملكة السخرية عند « شو » وترد إليها أكثر آرائه وأفكاره في محيط الأدب والحياة : « والسخرية في حياة شو هي ألمع اللافتات جميعا ، بل هي الإطار الطبيعي الذي يحيط بكل سورة من سور هذه الحياة ، وهي في فنه نقطة الارتكاز التي يلتقي عندها خط الاتجاه النفسي الممتد من هنا وخط الاتجاه الفكري المنطلق من هناك .. وهي في حياته وفنه معاذ لك المعبر العظيم لإنسانية القلب وكبرياء النفس وأصالة الموهبة . وتضغط أنت على « زر » نفسي واحد لترسل التيار الكهربائي إلى هذه اللافتة لتصبح « مضيئة » ، وتقرأ على « ضوئها » ما تحمل اللافتات الأخرى من « ألوان » نفسية .. ماهو هذا الزر النفسي الذي يضيء لافتة السخرية عند « شو » ، أو ما هو « مفتاح النور » لهذه الملكة الفذة التي غطت على غيرها من الملكات ؟ إنه السخط المتأصل في أعماق النفس منذ القدم على بعض القيود والأوضاع !

هذه الملكة النادرة عند هذا الكاتب العظيم ، أنبتتها الوراثة وأنضجتها التجربة ، وتولتها الموهبة بالعرض والتقديم .. لقد ولد في مهد الفاقة فسخط ، وشب في أحضان النبوغ فسخط ، وتنفس في جو القيود فسخط ، وبدأت حياته وانتهت وهي سلسلة من السخط المدثر بأثواب السخرية . لقد سخط على الأغنياء لأنه تذوق طعم الفقر ، وسخط على الاستعمار لأنه نشأ حر الفكر ، وسخط على العاجزين لأنه شجاع يؤثر الغلبة والاقتحام .. ثم أفرغ هذه الطاقة الساخطة في ذلك القالب الساخر ، الساخر من شتى المثل والقيم والتقاليد !

لقد كان السخط هو المنبع الأصيل الذي انبثقت منه سخرية

« شو » ، لتنال برشاشها اللاذع كل ما يدخل فى دائرة عقله من مظاهر الإنكار . وماهى السخرية على التحقيق إذا لم نردها إلى أصولها النفسية من السخط الثائر على أمر من الأمور ؟ إنك لا تسخر من وضع فى الحياة إلا إذا كنت ساخطا عليه ، لأن السخرية فى جوهرها ما هى إلا اتجاه عقلى إلى الحط من قيمة هذا الوضع ، والتعرض له بفنون من الهدم والتجريح ! والسخط لون من ألوان الثورة بلا جدال ، ولكنه عند « شو » ثورة عقلية مهذبة ، هدفها النيل بالقلم واللسان ، ومادتها السخرية التى تؤثر الهدم بالقول الجارح وتفعل بالظهور مالا تفعل السياط .. هو ساخر فى حياته وساخر فى فنه ، وبهذه السخرية النادرة نظر إلى الحياة والفن من زواياه الخاصة ، وسلط عليهما أضواءه الخاصة ، واختلف مع كل المصورين فى لقطاته البصرية والنفسية!

ولم تكن سخرية « شو » هى سخرية العاجز حين يشكو النقص فيتندر على القادرين ، ولكنها سخرية المشرف على الدنيا من فوق قمة عالية ، ترى الأشياء صغيرة مسرفة فى الصغر ضئيلة مغرقة فى الضآلة . ومن هنا امتزجت السخرية فى دمه بالكبرياء ، سخرية العقل بكبرياء النفس ، ثم انصهر هذا المزيج العجيب فى بوتقة الحياة فنشأت عنه هذه النزعة الإنسانية التى تتسم بالعطف على الشعوب الفقيرة والمحتلة على حد سواء .. إنها نبضات القلب الكبير ، القلب الذى تقلب يوما على أشواك الفقر فقاد خطوات صاحبه إلى طريق الاشتراكية ، وناء يوما بثقل القيد فوجه قلم صاحبه إلى مهاجمة الاستعمار !

ومن مظاهر الكبرياء فى حياة « شو » أن يهاجم التقاليد الانجليزية فى كل مناسبة تدعوه إلى الهجوم ، ويسخر من المثل الانجليزية فى كل فرصة تهيئ له أسباب السخرية ، فى الوقت الذى كانت أيرلندة وطنه الأول تئن تحت ضغط الاستعمار البريطانى .. ثم لا يقف بكبريائه عند هذا الحد المقبول ولكنه يندفع بها إلى ما وراء المعقول ، فيمتدح الشيوعية الروسية وينعت قطبها الأكبر ستالين .. بأنه خير الناس ! ترى هل كان « شو » يؤمن بهذا الذى جهر به ، أم أن سخطه على الرأسمالية عامة وعلى الشعب البريطانى خاصة هو الذى كان ينطقه بغير ما يعتقد ويظهره بغير ما يريد ؟ الحق أنه السخط من جهة والايمان بالرأى من جهة أخرى »

على هذه الفقرات الأخيرة تركزت أسئلة الأديب الفاضل محمد محمد عبد الرحمن فى العدد الماضى من الرسالة .. وإذا كنا قد عمدنا إلى الاستشهاد بما سبقها من فقرات ، فلأننا سنعود إليها فى معرض الجواب حين نرفع القناع عن أهدافه ومراميه . إن الأديب الفاضل يسألنا وهو يطلب المزيد من الوضوح . « ترى هل كان شو ياسيدى ساخطا حقا على الرأسمالية ، غير مؤمن باستحواذ المال ؟ إن الأستاذ العقاد يؤكد لنا فى كتابه الصغير عن برناردشو ، أنه كان مؤمنا برسالة المال فى حياة الآحاد وحياة الجماعات ، وأنه لا يكتم هواه للمال وحبه للاستزادة منه ما استطاع ثم يحدثنا العقاد عما كان يجذب شو نحو الاشتراكية فيقول : كان يجذبه إليها فقره وتمرده على النظم القائمة ونشأته الأيرلندية التى تعلم منها الثورة على الاستعمار والاستغلال ، فكان انضمامه إلى جماعة الفابيين . فاذا أردنا تفسير كلمة « فقره » وجدناها لا تعنى سخطه على الرأسمالية ، يؤيد ذلك قول شو نفسه « لا تخلط بين بغضك لزيادة جارك فى الغنى وبين بغضك للفاقة » !

إلى هنا تنتهى ملاحظات الأديب الفاضل ونعقب عليها قائلين له : أما أن « شو » كان ساخطا على الرأسمالية فحق لا مراء فيه ، وأما أنه كان مؤمنا برسالة المال فى حياة الآحاد وحياة الجماعات ، ولا يكتم هواه له وحبه للاستزادة منه فحق آخر لا يقل عن الحق الأول فى دلالته ومعناه ، ولا تناقض بين النزعتين ولا غرابة ولا شذوذ .. فاذا قلنا إن « شو » كان صاحب نزعة اشتراكية فى آرائه الاجتماعية ، فمعنى هذا أنه تنكر للرأسمالية وسخط عليها وعدها خطرا على حياة الفرد وحياة الجماعة . وإذا آثر مفكر من المفكرين نظاما فى الحياة على نظام ، فدلالة هذا الايثار واضحة كل الوضوح معبرة كل التعبير ، بأنه قد آمن بالوضع الأول ولم يؤمن بالوضع الأخير . وإذا قلنا بعد ذلك إن « شو » كان يعترف برسالة المال وأثره فى حياة الآحاد وحياة الجماعات ، وجب علينا أن نقرن القول بشىء من التوضيح يتفق معه كل تناقض بين الرأيين فى مجال الموازنة والتوفيق . أية رسالة للمال تلك التى كان يعترف بها « شو » ويؤيدها بكل ما يملك من قوة القلم وحرارة المنطق وذلاقة اللسان ؟ لقد نادى

« شو » بأن يكون المال فى يد الجميع ليفيض الجميع ، أما أن يكون المال فى يد طبقة دون طبقة ، فهذه هى التفرقة التى لا تتسم بالعدل ولا تقترن بالإنصاف ، لأنها مدعاة لتنافر الطبقات من جهة وزلزلة للنظم الاجتماعية من جهة أخرى . ومن هنا آمن « شو » بنظرية (المساواة فى الدخل) كنظام اقتصادى يفضله على كل ما عداه .. وأساس هذه النظرية أن المواهب الخاصة والكفايات الذاتية ، تلك التى تميز بين الأفراد فى رأى المجتمع وتقدير القادة ، لا يصح أبدا أن تكون ميزانا لمثل هذا التمييز فى الحصول على حقوقهم المادية . ولهذا طالب « شو » بتأميم وسائل الإنتاج ، أى بوضع المرافق الاقتصادية فى يد الدولة ، لتستطيع الدولة أن تستغل تلك المرافق بعيدا عن دوافع الأثرة ومزالق الأهواء ، وذلك بتوزيع الدخل الحكومى توزيعا عادلا « متساويا » بين الأفراد !

هكذا آمن « شو » برسالة المال فى حياة الآحاد وحياة الجماعات ، وهو إيمان تؤيده نزعته الاشتراكية ويؤكده انضواؤه تحت لواء الجمعية الفابية . . ونحن هنا متفقون مع الأستاذ العقاد حين قال بأن ما كان يجذب « شو » نحو نزعته تلك هو فقره ، وتمرده على النظم القائمة ونشأته الأيرلندية التى تعلم منها الثورة على الإستعمار والاستغلال . متفقون معه فى تلك الفقرات التى أثبتناها فى بداية هذه الكلمة وختمناها بهذه العبارة : « إنها نبضات القلب الكبير ، القلب الذى تقلب يوما على أشواك الفقر فقاد خطوات صاحبه إلى طريق الاشتراكية ، وناء يوما بثقل القيد فوجه قلم صاحبه إلى مهاجمة الإستعمار » !

وإذا ما تطرق الحديث إلى ثورة الكاتب العظيم على الاستعمار فقد آن لنا أن نربط بين هذه الثورة وبين ثورته الأخرى على الرأسمالية ، ذلك لأن شو كان يعتقد اعتقادا راسخا بأن الرأسمالية بوجهها السافر وصورتها الصادقة ، ما هى إلا المعبر الحقيق لتلك الخطوات التى لا تعرف التردد وهى تشق طريقها نحو الاستعمار وما يقتضيه من ألوان الإستغلال وضروب الاستعباد . . إن الرأسمالية معناها إثارة الحروب ، وهدفها إرضاء المطامع ، وغايتها التحكم فى رقاب الناس ، ودستورها فرض سلطة القوى على إرادة الضعيف ، وهذا كله بتسخير قوى المال فى إخضاع العصاة وقهر الأباة . . تحقيقا لمبدأ الشهوات والنزوات ! !

ويسألنا الأديب الفاضل بعد ذلك فى نهاية كلمته : كيف نوفق بين قولك بأن « شو » كان ساخطا على الرأسمالية ، وبين قوله هو : لا تخلط بين بغضك لزيادة جارك فى الغنى وبين بغضك للفاقة ؟! والجواب عن هذا السؤال كامن هناك ، فى تلك الفقرات الأولى التى استشهدنا بها من مقالنا السابق عن الكاتب العظيم ، حيث قلنا بعد كلام طويل : « ... والسخط لون من ألوان الثورة بلا جدال ، ولكنه عند « شو » ثورة عقلية مهذبة ، هدفها النيل بالقلم واللسان ، ومادتها السخرية التى تؤثر الهدم بالقول الجارح وتفعل بالظهور ما لا تفعل السياط » .. إن كلمة (مهذبة) التى نطقنا بها ونحن نرمى إلى ما يرسب فى قرارها من أهداف ، هى المفتاح الأصيل لما يبتغيه الأديب الفاضل من تفسير وتعليل :

لقد انضم « شو » إلى الجمعية الفابية عند إنشائها فى سنة ١٨٨٤ ، ومن مبادئ هذه الجمعية أن تدعو إلى الإصلاح الاجتماعى أو تطبيق العدالة الاجتماعية بين طبقات الكادحين ، وذلك عن طريق التوجيه والتشريع لا عن طريق الثورة المسلحة وإراقة الدماء . . لم تكن الجمعية الفابية تؤمن بالعنف أو تميل إلى تحقيق أهدافها بالقوة ، وإنما كانت تؤمن بنبذ الأوضاع غير المألوفة فى ناحية بعينها من نواحى المجتمع هى الناحية الاقتصادية ، وشعارها أن يكون المال فى يد الجميع ليفيض الجميع . تؤمن بهذا المبدأ وهى أبعد ما تكون عن وسائل الضغط وعوامل الإرهاب ، وأبعد ما تكون عن تأليب فئة من الناس على فئة ، عملا بخطتها السلمية التى تأنف إثارة الأحقاد والضغائن بين الطبقات ... فإذا كان « شو » قد جهر بتلك الكلمة المأثورة ، وهى ألا نخلط بين بغضنا لغنى الجار وبين بغضنا للفاقة ، فهو خضوع لمنطق نزعته الإشتراكية وخضوع فى نفس الوقت لمنطق جمعيته الفابية ، تلك التى انضم إليها عن عقيدة وإيمان !

لقد كانت الحركة العمالية البريطانية فى نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشر ، تلجأ فى تحقيق مطالبها إلى كل وسيلة من وسائل العدوان ، نعنى أنها كانت حركة ثورية تبعد فيها الثورة عن أن تكون « مهذبة » . وحين ظهرت الجمعية الفابية فى أواخر النصف الثانى من ذلك القرن ، كان لها أكبر الأثر فى

تهذيب تلك الحركة الثورية وطبعها بطابع التعقل والرصانة وتقدير الأمور . . واسنا مغالين إذا قلنا عن تلك الجهود التي بذلتها الجمعية الفابية في ذلك المضمار ، إنها قد انتقلت بالحركة العمالية من مرحلة القوى المبعثرة بفعل الفاق والاضطراب ، إلى مرحلة أخرى من الاتحاد والهدوء والاستقرار ، تنهض على دعائمها القوية حزب العمال وحكومة العمال . نقول هذا مختلفين مع الأستاذ العقاد حين يقول في كتابه الصغير القيم عن أثر الجمعية الفابية : « . فالواقع أن المجال كله مجال (نظريات وآمال) فيما تناولته الجماعة الفابية من المساعي والجهود ، فإن آثارها في مجال العمل السياسي جد قليلة ، ومعظم آثارها إنما كان تمثيلها مقبولا بين الناشئين والمثقفين ممن لا يملكون في مساعيهم وجهودهم قوة فعالة أكبر من قوة الاقناع في هذا المجال المحدود » !

وليس من شك في أن « شو » كان يحب جمع المال ويسعى إلى اقتنائه ، حتى مات وهو صاحب أكبر دخل بين الكتاب في القرن العشرين.. وقد يعجب القراء حين يعلمون أن هـذا الكاتب الانساني صاحب تلك النزعة الاشتراكية ، لم يعرف عنه أنه جاد بماله يوما على فقير أو محتاج أو جمعية من الجمعيات الخيرية ! لقد كان « شو » هو هذا الرجل الذي صورناه ، ولكن العجب يزول ويجب أن يزول ، حين نقول إن « شو » كان يؤمن وله كل الحق في هـذا الايمان ، بأن مشكلة الفقر لا يمكن أن تحل من طريق التبرع أو عن طريق الاحسان . . ولهذا أمسك يده إلا عن الجمعية الفابية !

بعض الحقائق عن الفضيحة العلمية :

كان المقال الذي كتبناه في العدد الماضي من الرسالة ، حول الفضيحة العلمية التي ارتكبها الدكتور عبد الرحمن بدوي بتحقيقه ، معذرة أقصد بتشويهه لكتاب « الإشارات الإلهية » كان لذلك القال أثره البعيد ودويه العميق في مختلف الأوساط الأدبية والجامعية . ولكن هذه الأوساط قد لجأت إلينا متسائلة ومستفسرة ، عن السر الخفي الذي حال بين المقال الثاني من نقد الأستاذ صقر في مجلة « الثقافة » وبين الظهور ، في الوقت الذي دعونا القراء إلى انتظاره في يوم معلوم . ونرى لزاما علينا أن نرفع الغطاء قليلا عن السر الخفي فنقول : لقد حدث أن عجز فيلسوف مصر الأول عن أن يدفع عن «علمه» طعنات السهام ، فتوسل إلى الشرف على تحرير « الثقافة » بحق ما بينهما من روابط الصداقة وأواصر الوفاء ، أن يحبس المقال الثاني إنقاذا لسمعته !!

وتحت جنح الظلام تمت المؤامرة ونجح التوسل وأفلح الرجاء ، ولكن إلى حين .. فقد علم المفكر الحر الأستاذ احمد أمين بك بهذا الذي دبر في الخفاء ، فوقف إلى جانب حرية الرأي يناصرها بغضبة العالم ويؤازرها بيقظة الضمير ، وأصدر أمره إلى الشرف على تحرير « الثقافة » بأن يفسح لحرية الرأي مكانها الموقر في قرار النفوس ! إننا حين ندعو القراء مرة أخرى إلى متابعة الأستاذ صقر في دفاعه عن كرامة التحقيق العلمي في مصر ، فإنما ندعوهم في نفس الوقت إلى أن يذكروا للأستاذ احمد أمين بك هذا الموقف الشرف الذي لا يمكن أن ينساه المفكرون الأحرار!!

أنور المعداوي

آلام فرتر

للأستاذ أحمد حسن الزيات

هي القصة العالمية الواقعية الخالدة للشاعر الفيلسوف « جوته » الألماني .

تطلب من مجلة الرسالة وثمنها ٤٠ قرشاً عدا أجرة البريد